الواقع عليه الحلاف انما هو مُلك المشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومة (١

على هذا النوال سقط بولس رغماً عن الآمال التي وطّدها على زينب غير انهُ كان قد زرع في المشرق جراثيم الشيعة الآريوسية والنسطورية اللّتين مال اليهما وعلّمهما وقد ترك اشياعاً متعصّبين لتعاليمه فدُعوا بولسيّين سُمَيْساطيين (٢

بعد سرد هذه الاخبار نرى انهُ لامرٌ جدير بالانذهال كيف تركت زينب جليسها بولس واحبَّ الناس اليها يُحرَم ويُحكم عليه بالعزل والعقاب دون ان تحاول اضطهاد المسيحيين او معارضتهم في دينهم. وقد اثنى القديس اثناسيوس ثناء جميلاً عليها لسبب غير هذا وهو عدم تعصّبها لديانتها الاسرائيلية (على زعمه) قال: «ان زينب وان يهودية لم تهب ابناء ملّتها الكنائس لتكون لهم مجامع او محافل» (٣

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الى ما كنّا فيه. واستمرّت اقطاعات السلف على ما ذكرناهُ ثم انقسموا ثلاثة ابدال وقد رأيتُ بخطّ ناصر الدين المذكور قائمةً (٤ مضمونها الذي تقرّر بين المماليك اولاد امير الغرب من الابدال بالثغر المحروس: (البدل الاوّل) الفقير الى الله تعالى الحسين بن خضر واخوهُ عزّ الدين حسن وشمس الدين عبدالله ابن عمهِ واصحابهما ما خلا خمسة انفار

١) اوسايوس ٧ : ١٩,٣٠ . قال شبابي «ان هذا الرجل الوثني اوصلهُ تميز عقلهِ الى حلّ مسائل شتّى في الامانة المسيحية (راجع المذكور وجه ١٤٠) — فانظر كيف اوريليانوس يذكر اسقف رومة على حدةٍ واما اساقفة ايطالية فيذكرهم سويةً دون تخصيص احدٍ»

٢) راجع اوسايوس الحل المذكور . ومخايل كيكاس اخبار القسم الثالث — وقد اجمع المؤرخون على ان بولس هو اول من حرّف القوانين الرسولية — طالع مقالات دي جيستري الفصل الثاني (بين)

٣) راجع رسالة القديس اثناسيوس

٤) راجع هذه القائمة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٦)

تضاف الى الامير ناصر الدين ابن سعدان وهم صارم الدين شمول وابن عمّهِ نجم الدين كوكب سنان وشرف الدين غازي ابو الرجال وشرف الدين ابو العلاء بن شتير وبدر الدين حسن بن سامي. (والبدل الثاني) الامير سيف الدين مفرج والامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين والامير علم الدين سليمان واصحابهما. (والبدل الثالث) الامير ناصر الدين ابن سعدان وولداهُ الامير سيف الدين ابرهيم بن نجم الدين واصحابهُ والامير عماد الدين موسى بن مسعود واصحابهُ والخمسة المضافون اليهم من جماعة المماليك

ثمّ من مضمون القائمة المذكورة اسماء جماعة المماليك «العشرة الأولى»: شرف الدين ابن قاسم برق. حصن الدين زعازع بن احمد. نجم الدين أيوب. صارم الدين شمول بن نجا من بني ابي الجيش. شهاب الدين داود بن عبد الله. شمس الدين عبد الحميد بن جار. بدر الدين بدر بن عبد الكريم. ناصر الدين غسّان بن جلال. جمال الدين رشيد بن معبد. شرف الدين بن يعقوب بن عبد الحقّ العديسيّ. امّا «المستجدّون» فهم: حسام الدين ابو الهيجاء بن عيسى العديسيّ. شرف الدين مشرف بن جميل. شهاب الدين احمد بن شمس. شمس الدين محمّد بن منا. شجاع الدين ارسلان بن مسعود. شرف الدين عيسى بن يوسف. بدر الدين حسن بن سامي. شرف الدين عيسى بن غازي المزيودي. نجم الدين كوكب (؟) بن سنان. ناصح الدين عبد المنعم ابو النجم. عزّ الدين حسن بن رفاعة. عزّ الدين بن فضائل بن ابي العلاء المبشري

قولهُ «العشرة الاولى» يريد عدّتهُ الاولى قبل الزُّوك وهم مستمرُّون في خدمته. وقولهُ «المستجدّون» اي الذين استجدّهم عندهُ في الخدمة بعد الزوك فصار المستمرُّون من الاوّلين عُتقًا والذين بعدهم مستجدّين. امّا شرف الدين يعقوب بن عبد الحقّ المذكور فهو الذي كتب لناصر الدين مخدومهِ مرآة الزمان والذَّيل عليها. وكتب لهُ ايضًا غيرها عدّة كتب فكان ما كتبهُ لهُ ثمانيًا وثلاثين مجلّدًا كبيرًا ضخم الحجم وقد رأيتها كلّها

(قلتُ) واذا نظر الناظر الى هذه الأبدال الثلاثة يجد قسمتها على احسن ترتيب واكمل سياسة لانّ (القسمة الاولى) للامراء في اعتيه فزادوا عن الثلاثة خمسة اجناد. وكان يجب ان يُفرَد لها احد الاميرين امّا عزّ الدين الحسن بن خضر وامّا شمس الدين عبد الله بن حجي فلم يخرجهما ناصر الدين عنهُ وابقاهما معهُ لكون عزّ الدين اخاهُ وصداقه

ابن عمهِ . وجعل عوضاً عن الذي ينفرد منها خمسة من جندهِ مناسبين لبني ابي الجيش . واما (القسمة الثانية) فللامراء بعرامون تكملتهم عمّ الدين الرمطوني بالطابقة لهم . واما (القسمة الثالثة) فلناصر الدين بن سعدان وولدهِ ومعهم سيف الدين ابرهيم بن محمد العيناني وكملهم ناصر الدين الحسين بخمسة من جندهِ وهي المذكورة . ولينظر الناظر (٥ 45) الى هذه القسمة الثالثة كيف جُعلت . فاما ناصر الدين بن سعدان فكان من طبعهِ البغض والحسد لناصر الدين الحسين واقاربهِ الامراء بعرامون . واما سيف الدين ابرهيم فكان ولدهُ نجم الدين محمد ابن جمال الدين حجي وقد عقّ اباهُ وعاداهُ اقاربهُ وصار مبغضاً لديهم . واما اجناد ناصر الدين الحسين الخمسة فهذه اسماؤهم : شمول بن لجا وهو ابن عم ناصر الدين ابن سعدان . ونجا هو تقيّ الدين نجا المقدَّم ذكرهُ الذي فعل مع السلف تلك الفعائل . ومنهم موسى بن مسعود فكان من بني ابي الجيش ايضاً

وحكي انهُ قيل لناصر الدين الحسين ان ناصر الدين ابن سعدان مرض مرضاً لا ينجو منهُ فقال : في منعاهُ سألبس الاحمر . يُشير بذلك الى ما ذكرناهُ عن ابن سعدان لمّا دسّ السمّ ليدو الدين يوسف ابن زين الدين وكان لمّا بلغهُ خبر موتهِ لبس الاحمر يظهر الابتهاج بهِ . وكان مع ذلك ابن سعدان المذكور اقلّ بغضاً لامراء العرب من بقيّة اقاربهِ . وكان لابن سعدان هذا ولدٌ اسمهُ شهاب الدين داورد فشى على قاعدة تقيّ الدين نجا عمّ ابيهِ ناصر الدين ولم يخرج لهُ قصد (١

وقد وقفتُ على اشهادٍ من مضمونهِ انّ داورد المذكور رجع عن قولهِ وتاب وسلك الطرائق الحميدة والمناهج السديدة وانهُ اقرّ انّ كلّ ما تكلّم بهِ عند النوّاب والامراء في حقّ ناصر الدين الحسين زورٌ وبهتان في طريق الحسد والبغض لا صحّة لهُ

ووقفتُ ايضاً على كتاب من تنكز نائب الشام جواباً لناصر الدين الحسين يقوّي بهِ يد ناصر الدين (46) على داورد المذكور وانهُ لم يسمع لكلامهِ بل تحقّق كذبهُ

---

١) قد جاء في حاشية المؤلف ما نصهُ : « وقد وجدت كتاباً لناصر الدين الحسين المذكور جاء في مضمونهِ انّ شهاب الدين داورد ابن ناصر الدين كان رديء السيرة يمشي على طريقةٍ مذمومة وانهُ واخاهُ سعدان يقصدان ضرر ناصر الدين الحسين واخوتهِ ويقدحان في اعراضهم . وتاريخ هذه الكتابة العُشر الآخر من شهر صفر سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م) »

وعرف شكر الناس لناصر الدين . وكتاب تنكز المذكور والاشهاد السابق كلاهما بتاريخ سنة احدى وعشرين وسبعمائة (١٣٢١م)

وبيت بني ابي الجيش كانوا مشهورين بالبغض والحسد لهذا البيت ولاقاربهم الامراء يعرامون ويتسلطون عليهم بالكذب والزور من غير إساءة سبقت منهم اليهم (١ . وقد حُكي انّ بعض الامراء يعرامون مات مسمومًا بيد احد ابناء ابي الجيش (٢ وقد هلك في آخر الامر بنو ابي الجيش وخربت مساكنهم في ايام هذا البيت . وانّ العاقبة للمتّقين

ذكر بعض حوادث جرت في ايام ناصر الدين

كان عمر ناصر الدين لمّا قُتِل القطب نحو عشر سنين . ولمّا تُحت بيروت على يد الملك الاشرف كان عمرهُ قرب اثنتين وعشرين سنة . وفي ايامهِ كان نزول الفرنج على الدامور ليلة الاربعاء من جُمادى الأولى سنة اثنتين وسبعمائة . وكان في الدامور شمس الدين عبدالله واخوهُ فخر الدين عبد الحميد واسروا اخاهُ شمس الدين عبد الله . وقُتل في تلك الليلة مجاهد ابن ابي الحسن بن يوسف وابن عمهِ معتب بن ابي المعالي ونفر من اهل ادميث . وبقي شمس الدين عبد الله معهم في الشوانى خمسة ايام (٤٥) الى ان باعوهُ بالتربة من قرية خلدا بثلثة آلاف دينار صوريّة لانهم عرفوهُ وندموا على قتل اخيهِ . ودفع ناصر الدين جانبًا كبيرًا من مالهِ ليفديهُ (ستأتي البقية)

---

١) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ : « سمعتُ من غير واحد انّ بعض الامراء الذين سكنوا بعرامون الحارة المجاورة للعين كان يصبح بعض الاحيان فيجد في الطيقان نشّابًا مغروبًا . وكذا كان يجري في بيت جمال الدين حجّي المعروف الآن ببيت شجاع الدين فكان يُرى النشّاب مغروسًا في الطاق قد رُمي بهِ من جهة الوادي وكان ذلك من بني ابي الجيش . وبغضهم لهذا البيت مشهور »

٢) حاشية للمؤلف : « المعروف انّ الذي توفي بالسمّ هو بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ بن يحتر المذكور في الطبقة الاولى . وقيل انّ الذي دسّ لهُ السمّ هو ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان بن ابي الجيش . وقد تقدّم ذكر ذلك في حاشيتهِ عند ترجمة بدر الدين المذكور في الطبقة الاولى »